

فضل العشر الأواخر من رمضان

إخوة الإيمان:

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاؤِهِ، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَجْسَادَنَا عَلَى النَّارِ لَا تَقْوَى،

عباد الله: ها نحن قد أشرفنا على أشرف الأيام، ها أتم على عتبة العشر الأواخر من رمضان، عشر التجارة مع الله، عشر التجارة للآخرة، وأعني بها التجارة الراجحة دون خسارة، الحسنة فيها تضاعف إلى أضعاف كثيرة وليست هذه التجارة كتجارة الدنيا لأن التاجر في الدنيا قد يربح وقد يخسر، أمّا العامل المخلص في هذه الليالي العشر فهو راجح لا محالة لأن التعامل مع من بيده الدنيا والآخرة، إنها العشر التي هي ختام الشهر، والأعمال بالحوافيم، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظم العشر الأواخر من شهر رمضان، ويجتهد فيها اجتهاداً حتى لا يكاد يقدر عليه، يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما أحرانا نحن المذنبين المفرطين أن نفتدي به صلى الله عليه وسلم حتى نعرف لهذه الأيام فضلها، ونجتهد فيها، لعل الله أن يدركنا برحمته، ويسعفنا بنفحة من نفحاته، تكون سبباً لسعادتنا في عاجل أمرنا وآجله..

يا من ضيع عمره في لهوه وغفلاته، استدرك الخير قبل عجزك عنه وفواته، فإن كان لك عذر فيما ضيعته؛ فعند الله هاته، هذا شهر رمضان أفضل أشهر العام، قد ذهب معظم أيامه ولياليه، من هو الذي انكف فيه عن الغيبة، والنميمة، والمعاصي، والآثام؟، وفي الثلث الأخير من شهر رمضان المعظم تتضاعف الحسنات وتتعدد المناسبات فقد جعل الله تبارك وتعالى في العشر الأواخر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر إكراماً من الله لأمة محمد عليه الصلاة والسلام حتى تكثر حسناتها ولا تسبقها الأمم الأخرى، إنها ليالي العابدين، وقرّة عيون القانتين، وملتقى الخاشعين، ومحط المحبتين، ومأوى الصابرين.. فيها يحلو الدعاء، ويكثر البكاء.. إنها ليالي معدودة وساعات محدودة، فيا حرمان من لم يذق فيها لذة المناجاة! ويا خسارة من لم يضع جبهته لله ساجداً فيها!!

وقد كان سيد بني آدم صلى الله عليه وسلم يجتهد فيها، ما لا يجتهد في غيرها؛ حيث كان يعتكف فيها ويتحرى ليلة القدر خلالها؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدّ مئزره وحدّ (رواه البخاري ومسلم) وهذا كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، وقد يكون كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع، تفرغاً للعبادة واعتناء الأزمّة الفاضلة، لأن ليلة القدر لها فضل عظيم، فينبغي على المسلم الجد والاجتهاد في عبادة الله، والأبصير ساعات هذه الأيام والليالي في اللّهو والعبث، أو جوب الأسواق؛ فإنّ المرء لا يدري لعله لا يدركها مرة أخرى، بإخطاف هادم اللذات، ومفترق الجماعات، فحينئذ يندم حيث لا ينفع الندم، ومن خصائص هذه العشر؛ وجود ليلة القدر فيها، وهي ليلة عظيمة، قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (رواه البخاري) وقد خصّ الله تعالى هذه الليلة بخصائص:

1- منها أنه نزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفضلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

2- وصفها بأنها خير من ألف شهر، في قوله تعالى: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

3- ووصفها بأنها مباركة، في قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ،

4- يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثر بركتها، قال تعالى: تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، وَالرُّوحُ: هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِ

5- وهي ليلة سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى، وتكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب؛ لما يقوم به العباد من طاعة الله عز وجل

6- يغفر الله تعالى لمن قامها إيماناً واحتساباً ما تقدم من ذنبه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَمَعْنَى: إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا أَي: تَصَدِيقًا بِوَعْدِ اللَّهِ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَطَلَبًا لِلْأَجْرِ لَا لِقَصْدِ آخَرٍ مِنْ رِيَاءٍ أَوْ نَحْوِهِ

7- ومن عظمتها أنّ الله تعالى أنزل في شأنها سورة تثنى إلى يوم القيامة، وذكر فيها شرف هذه الليلة، وعظم قدرها، قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، فالعبادة فيها خير من ألف شهر أي خير من عبادة ثلاث وثلاثين سنة، وهذا فضل عظيم، وفي هذا تزغيب للمسلم وحث له على قيامها، ابتغاء وجهه الله بذلك، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتبس هذه الليلة ويتحرّاه؛ مسابقة منه إلى الخير، وهو القدوة للأمة، وليلة القدر في العشر، وفي أوتار العشر أكد،

لِحَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَحْرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) وَرَجَّحَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا تَنْتَقِلُ كُلَّ عَامٍ، وَلَيْسَتْ فِي لَيْلَةِ مُعَيَّنَةٍ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: - وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُحْتَارُ لِتَعَارُضِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي ذَلِكَ، وَلَا طَرِيقَ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا بِإِنْتِقَالِهَا، وَإِنَّمَا أَخْفَى اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيَجْتَهِدَ الْعِبَادُ فِي طَلِبِهَا، وَيَجِدُوا فِي الْعِبَادَةِ، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الْجُمُعَةِ وَعَيْهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَبْغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَيَّامِ وَلَيَالِي هَذِهِ الْعَشْرِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّصَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَخْتَصَةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ زَادَهَا اللَّهُ شَرَفًا فَلَمْ تَكُنْ لِمَنْ قَبْلَهَا، مَا أَدْرَكَهَا دَاعٍ إِلَّا وَظْفَرٌ، وَلَا سَأَلَ فِيهَا سَائِلٌ إِلَّا أُعْطِيَ، وَلَا اسْتَجَارَ فِيهَا مَسْتَجِيرٌ إِلَّا أُجِرَ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَتَعَرَّضُوا لِنَفْحَاتِ رِيحِهِ، وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالْعَاقِلُ مَنْ يَنْتَهِزُ بِقِيَّةٍ لِحَطَاتِ شَهْرِهِ، فَيَسْغُلُهَا بِالطَّاعَاتِ وَعَظِيمِ الْقُرْبَاتِ، وَيَسْتَبْدِلُ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ.

خطبة الجمعة ليوم 29 مارس 2024 م